تأثير أحداث الحراك الشعبي العربي على السياسة الأمريكية والصينية تجاه دول شمال إفريقيا

الأستاذة :براهيمي مريم
أستاذة مساعدة "أ" - كلية الحقوق و العلوم السياسية -
- جامعة محمد خيضر بسكرة -

ملخص:

انطلاقا من حالة عدم الأمن الاستقرار التى تلت أحداث الحراك الشعبى العربى فى الشرق الأوسط و التى مست دول مهمة فى المنطقة المغاربية و شمال إفريقيا تحديدا تونس و ليبيا كذا مصر الأمر الذي انعكس على مصالح القوى الكبرى فى المنطقة خاصة كل من الولايات المتحدة الاتحاد الأوربى روسيا و الصين و باعتبار أن كل من الولايات المتحدة و الصين تعدان شريكان تجاريان مهمان للدول الإفريقية تتنافسان على تحقيق اكبر قدر من المصالح فان شمال إفريقيا كمنطقة تتعدد فيها المصالح الاقتصادية و الإستراتيجية لهاتين الدولتين أصبحت محط تنافس بينهما.

ان التنافس الأمريكى الصينى فى منطقة كشمال افريقيا تعرف حالة عدم استقرار امنيا سياسيا واقتصاديا بسبب الأزمة فى الساحل الإفريقى والفراغ الأمنى الذي حدث مع سقوط أنظمة سياسية مهمة فيها جعل كلا من القوتين مضطرة للتعامل مع الوضع الجديد بحثا عن الاستقرار وحماية لمصالحها الاقتصادية والاستراتيجية هذه الورقة البحثية تركز على التغير فى سياسة كل من الدولتين كرد فعل ضروري لما استجد على المنطقة والعمل فى إطار متوسط وطويل المدى.

Abstract:

The following research paper outlines a study to evaluate the impacts of the new emergent changes of the Chinese (PRC) and the American policies in the MENA region, I will examine the historical origins of the Sino American relations and strategies in it focusing on the new situation according to the recent geopolitics changes. Depending on the instable situation in the Middle East and North Africa the MENA region, that followed the events of the unexpected uprisings in the Arab world especially the Maghreb and North African countries such as Tunisia, Libya, and Egypt. The Arab spring events had reflected on the interests of the major powers, like the United States, European Union, Russia and China. As well as influencing Their Foreign policies, by using the wait-and- see approach to do not lose their interests in the MENA. The United States and China are important trade partners of the African countries, who are competing to achieve their various interests in the continent. We can simply observe the growing geostrategic importance of the North Africa as a region, where multiple economic and strategic interests of these two countries, becoming one of their core sources of rivalry for oil and naturel resources

مقدمة:

بغض النظر عن كونه كان ربيعا او خريفا حراكا او ثورة او تمردا إن صح التعبير,مهما اختلفت المسميات إلا انه عرف إعلاميا بالربيع العربي انطلاقا من محاولات التغيير التي تم اعتمادها,ولكنها أخذت منحى تنازلي لتصل الى حالة الفوضى واستخدامنا لهذا المصطلح كالعديد من الباحثين في العالم لا يعدو تأريخا لمرحلة الحراك الشعبي,وليس من منظور كونه ربيعا ناجحا أثمر الديمقراطية والتنمية وأدى الى المضي في مسار التحول الديمقراطي. فالمتتبع للأحداث التي تلت الحراك في تونس مصر ليبيا وسوريا يدرك جيدا ان منطقة الشرق الأوسط تشهد أصعب حالة من عدم الأمن والاستقرار لم تعرفها منذ عقود.

أثرت أحداث الربيع العربي بشكل كبير على واقع منطقة شمال افريقيا على كل المستويات, السياسية منها والاقتصادية وحتى الاجتماعية, الامر الذي انعكس على مصالح القوى الكبرى, في هذه المنطقة الغنية بالموارد وذات الأهمية الاستراتيجية الكبيرة على المستوى الدولي. وعليه فانه من المهم مراقبة تحول سلوك هذه القوى التي تتنافس على النفوذ في هذه المنطقة الحيوية, ومن أهمها نجد كل من الولايات المتحدة الامريكية وجمهورية الصين الشعبية, واللتان اصبحتا تعدان من القوى الأجنبية التقليدية في هذه المنطقة, فكلا البلدين له تاريخ طويل من العلاقات مع دول شمال افريقيا.

منطلقين من الإشكالية التالية: الى أي مدى يمكن اعتبار أن احداث الحراك الشعبي العربي قد اثرت على سياسة كل من الولايات المتحدة الامريكية والصين تجاه شمال افريقيا؟

للإجابة على هذه الإشكالية سنطرح الفرضية التالية: ان احداث الربيع العربي قد أحدثت تغييرا عميقا في طبيعة سياسة البلدين تجاه المنطقة يصل لمستوى القول بالتحول.لتأكيد هذه الفرضية ومحاولة الوصول الى استنتاجات علمية موضوعية, سنعتمد على مقترب القوة الناعمة لجوزيف ناي في تحليل المسائل الاقتصادية وحتى الأمنية, كذا المنهج المقارن بتبيين اهم أوجه التوافق والاختلاف بين سياستي الدولتين قبل وبعد الربيع العربي.سيتم تقسيم الدراسة الى عناصر رئيسية وأخرى فرعية, ترتكز على سياسة الصين وأمريكا تجاه شمال افريقيا قبل الربيع العربي, وفي ظل الربيع العربي, وثالثا اهم نقاط التوافق والاختلاف بين البلدين قبل الربيع العربي وبعده.

أولا. السياسة الامريكية والصينية تجاه دول شمال افريقيا قبل احداث الحراك الشعبي العربي

صرح الرئيس الأمريكي باراك أوباما في سنة 2009 ان الحكم الراشد والتركيز على الشفافية وعملية التحول الديمقراطي سيكون مفتاح النجاح بالنسبة لبقية الإشكاليات في القارة, كما وضح مساعد كتابة الخارجية الامريكية في مارس 2013 ان أولويات الولايات المتحدة الامريكية في افريقيا هي الديمفراطية والحكم الراشد. في حين ان الصين لا تهتم كثيرا بتقوية مؤسسات الديمقراطية في القارة,

حيث ينقد بعض الخبراء في العلاقات الامريكية الافريقية سياسة الولايات المتحدة في القارة بكونها قد قامت بعسكرة علاقاتها معها, من خلال وضع الأولوية الأمنية هي المحورية في تعاملها مع الدول الافريقية, عكس الصين التي تركز أكثر على الأولوية الاقتصادية,فتحاول تجنب الصراعات مهما كان هدفها [1].

ومن اهم الأولويات التي تركز عليها الصين في افريقيا:

- رفع معدل حصول الصين على الطاقة من القارة كذا مختلف الثروات المعدنية و الزراعية و غيرها

- تطوير علاقاتها مع دول القارة لتتمكن من الاعتماد عليها في الحصول على الدعم على المستوى الدولي و الإقليمي

- رفع معدل الصادرات الصينية للقارة خاصة بالنسبة للدول التي يشهد اقتصادها تحسسنا و ارتفاعا ملحوظا في دخل الفرد و الاستهلاك

- القضاء على التمثيل الدبلوماسي التايواني في القارة وحصولها على الاعتراف ببكين الممثل الوحيد[2]

في الواقع فان المصالح الامريكية والصينية في افريقيا تعد متشابهة الى حد كبير, حيث تسعى كل من الدولتين للحصول على الموارد الطبيعية خاصة الغاز والبترول كما تمثل القارة سوقا مهما لمنتجاتهما, وتسعى الدولتان للحصول على الدعم السياسي الدولي في تحركاتهما, إضافة الى ان الصين تهدف الى الاعتراف بصين واحدة عاصمتها بكين. لكن تختلفان من حيث توجهات سياستهما تجاه القارة وفقا للمنظور المتبع لتحقيق الأهداف سابقة الذكر, فتركز الولايات المتحدة على الحكم الراشد الديمقراطية والمساعدات الدولية تحديدا فيما يتعلق بالتنمية البشرية, إضافة الى تطوير الاستثمار في القطاع الخاص. في حين ان الصين تعتمد على الاستقلالية السياسية واستثمار الدولة, كذا الحصول على الموارد الطبيعية[3]

تركز الصين على العلاقات الثنائية دولة مع دولة, كذا العلاقات الشخصية عالية المستوى, فمثلا قام الرئيس الصيني هوجنتاو بستة زيارات للقارة, اثنان منها كنائب للرئيس وأربع زيارات كرئيس للصين. فتعتبر الصين دبلوماسيا من انشط الدول في القارة واكثرها زيارة لها, عكس الولايات المتحدة التي لا يصل عدد زيارات الرئيس الأمريكي لها عدد زيارات لنظيره الصيني, كذا عدد دعوات الزيارة من طرف الرؤساء الصينيين للقادة الأفارقة. كما يدعو الحزب الشيوعي الصين زعماء الأحزاب السياسية في القارة لزيارة الصين. إضافة للعلاقات الدبلوماسية والسياسية نجد اهتماما بالعلاقات العسكرية,

فبالرغم من كون الصين لا تملك قواعد عسكرية على القارة, الا انها تملك علاقات مهمة على هذا المستوى مع دولها, كما ان نسبة مساهمتها في سوق الأسلحة في القارة تعد مهمة, خاصة في دول افريقيا الصحراء او بالأحرى دول الصحراء الكبرى[4]

ازداد حجم الاستثمارات الصينية في شمال افريقيا و الشرق الأوسط الى مئات المليارات من الدولارات[5]مؤخرا,ففي سنة 2012 وصلت الواردات الصينية من الشرق الأوسط و شمال افريقيا الى 98.674.41 دولار أي 7.1 %من وارداتها, اما صادراتها لهذه الدول فوصلت الى 75.999.09 دولار أي بنسبة 5% ,[6]كانت السياسة الصينية تجاه القارة منذ عقود تقوم على حاجتها للطاقة و الأسواق و حاجة الدول الافريقية للسلع, لكن منذ فترة بدأ القادة الافارقة ينقدون السياسة التي يعتبرونها غير عادلة بالنسبة للتعامل الصيني البراغماتي مع افريقيا [7] ,بالرغم من انها قد تجاوزتالولايات المتحدة مع سنة 2009 لتصبح الشريك التجاري الأهم لدول القارة,اذ وصلت المبادلات التجارية بينها و بين دول القارة الى 117 مليار دولار سنة 2010 و نظيرتها الأمريكية شكلت في نفس السنة 113 مليار دولار,كما تستورد الصين ثلث حاجتها للبترول من القارة خاصة من الدول التالية : انغولا السودان الجزائر ليبيا و جمهورية الكونغو ,[8] الامر الذي يبرز ان دول القارة بسبب تعدد البدائل, اصبح بمقدورها اختيار الطرف الموافق لتوجهاتها للتعامل معه على المستوى الاقتصادي, مادامت الثورات الطبيعية التي تصدرها تعد حيوية بالنسبة لاهم الأقطاب الدولية.

ثانيا. أوجه التوافق والاختلاف بين سياسة الولايات المتحدة والصين مع احداث الحراك الشعبي العربي

خلقت احداث الربيع العربي وضعا جديدا في منطقة الشرق الأوسط و تحديدا شمال افريقيا, كون اغلب الدول التي برزت فيها الاحداث هي من شمال افريقيا, على غرار مصر تونس و ليبيا, و بالرغم من انه لا يزال مبكرا تحديد تأثير هذه الاحداث على مختلف الأوضاع الداخلية و مصالح القوى الاجنبية, الا ان ذلك لا ينفي القدرةعلى تبيين بعض هذه الارهاصات الأولى ان صح التعبير, خاصة فيما يتعلق بسلوك القوى الكبرى, لكون احداث الربيع العربي قد اسقطت نخب سياسية حكمت لفترة طويلة, و انتاب علاقاتها مع هذه للقوى مسار محدد فيما ما يتعلق بالتعاون التقليدي او التقارب الجديد.من اهم الدول المؤثرة في المنطقة انطلاقا من كونها دولا تملك مقعدا دائما في مجلس الامن نجد كل من الولايات المتحدة والصين, فعليهما دعم الاستقرار والسلام في المنطقة وعليه فان سعيهما للبحث عن فرص يحتم عليهما أيضا العمل على إيجاد الاستقرار الامر الذي يتنافى مع سياسة الصين التي تعتمد عليها منذ عقودوهي عدم التدخل في الشؤون الداخلية وحالات الصراعوالاهتمام بالأولويات الاقتصادية دون الميل الى أحد الأطراف المتصارعة [9] .

انطلاقا من التغير العميق على مستوى الجيوسياسة في منطقة شمال افريقيا مع احداث الربيع العربي, بسقوط نخب حكمت لفترة طويلة, فان الوضع الجيوستراتيجي فيها سيتغير تبعا لذلك, لكن تحديد ملامح هذا التغير سيعد امرا سابقا لأوانه, حيث ان الوضع السياسي في المنطقة مازال يشهد اضطرابا و تحولات كثيرة, لكن على المدى المتوسط و الطويل ستبدأ ملامح المرحلة القادمة بالبروز, انطلاقا من التطورات المرتقبة في كل من تونس مصر و ليبيا, كما يجب الإشارة الى الإصلاحات السياسية التي قام بها كل من النظامين الجزائري و المغربي منذ سنة 2011[10] و التي يرى بعض الباحثين ان لها تأثيرا مهما على الاستقرار السياسي في الدوليتين.

1- السياسة الصينية تجاه احداث الحراك الشعبي العربي:

تميزت السياسة الخارجية الصينية تجاه منطقة شمال افريقيا خلال احداث الربيع العربي بعنصرين مهمين و هما: المصلحة و الواقعية,إضافة الى الثبات, فمنذ نهاية الحرب الباردة و السياسة الخارجية الصينية تجاه دول الشرق الأوسط ترتكز بالأساس على البحث على الامن الطاقوي,كذا إيجاد فرص استثمار و أسواق جديدة, و عليه فان الهدف المحوري للسياسة الصينية الخارجية هو إيجاد الامن و الاستقرار على المستوى الدولي, للاستمرار في مخططها التنموي الداخلي لتقوية نفسها و عليه فان الصين تسعى الى تقوية علاقاتها مع دول شمال افريقيا اقتصاديا بشكل خاص, كذا تحاول تحسين الوضع في ظل الربيع العربي انطلاقا من التعاون و المفاوضات و إدارة الصراع[11]

خسرت الصين أربعة مليار دولار من استثماراتها في ليبيا وحدها, مع احداث الربيع العربي لسنة 2011 وسقوط نظام القذافي, حيث ان ليبيا تعد من اهم الرهانات الأمنية بالنسبة للصين في افريقيا,والتي تأثرت سلبيا أيضا بسحب ما يقارب 36000 عامل صيني منها كانوا ضمن منطقة التوتر,وعليه بدا صناع القرار والباحثون الصينيون يناقشون قضية حماية المواطنين الصينيين من الاختطاف والاعمال الإرهابية,والعمل على توفير الامن الخاص للعاملين في المناطق التي تشهد توترا في القارة[12].فمع سقوط نظام القذافي ازدادت منطقة شمال افريقيا هشاشة من الناحية الأمنية, بسبب تزايد نشاط تهريب المخدرات و الأسلحة و البشر كذا عمليات الاختطاف التي يقوم بها تنظيم القاعدة في بلاد المغرب, و تواجه المنطقة اليوم تهديدات مرتبطة بحالة عدم الاستقرار التي تولدت عن احداث الربيع العربي, حتى ظهرت جماعات على الساحة السياسية تعترض على الأطر الأيديولوجية القديمة بشكل كامل و تبحث عن التغيير الجذري الذي لا يمكن ان يحدث بشكل سريع, و أيضا اتساع مجال حالة عدم الاستقرار في شمال افريقيا ككل و الساحل و حتى غرب القارة, عبر تزايد نشاط جماعات الجريمة المنظمة و الإرهاب.[13]

انطلاقا من الوضع الامني المتأزم في ليبيا بعد تسرب أسلحة الجيش الليبي و وقوعها في ايدي بعض الجماعات الإرهابية الناشطة في منطقة الساحل الافريقي يجدر توضيح تخوف الصين على رعاياها ومصالحها الاقتصادية في ليبيا, انطلاقا من حجم المبادلات التجارية الثنائية التي وصلت الى 6.6 مليار دولار سنة 2010 قبيل سقوط النظام السابق, كما وصلت قيمة الاستثمارات الصينية غيرالمالية في ليبيا الى 59 مليار دولار اغلبها في قطاع النفط, فتصدر للصين ما نسبته 11% من مجمل صادراتها النفطية, حيث تحتل الصين المرتبة الثانية بالنسبة لليبيا بعد فرنسا فتساهم ليبيا ب 3.1% [14] من واردات الصين النفطية.

يبدو مؤخرا ان الصين تحاول تغيير أسلوب تعاملها مع افريقيا لتحدث تقارب أكثر له صفة الاستدامة, بالتركيز على القوة الناعمة من خلال الاعلام والثقافة والتبادل والعلاقات بين الشعوب, وهو ما أشار اليه الرئيس الصيني هوجنتاو في القمة الصينية الافريقية لسنة 2012 فيما يرتبط بالشراكة الاستراتيجية الصينية الافريقية [15] . فيرى بعض المحللين ان الأنظمة التقليدية التي لا تزال قائمة في منطقة شمال افريقيا والشرق الأوسط سوف تحاول تقوية علاقاتها مع الصين لكونها لم تعد تثق في وعود الدول الغربية بعد سقوط نظام حسني مبارك, [16] ,كما ان الوساطة الصينية بالنسبة لجنوب السودان بين سنوات 2011 الى 2013 تمثل مقاربة صينية مهمة لتعاملها مع قضايا القارة, حيث تملك علاقات تجارية مهمة جدا مع شمال وجنوب السودان, الامر الذي جعلها تعين مبعوث خاص للمنطقة لوي كيجان من اجل حماية مصالحها والعمل على حل الصراعات التي تؤثر عليها سلبا[17]

منذ السنوات القليلة الماضية بدأت الصين تعتمد أكثر من السابق على القوة الناعمة كوسيلة لتغلغل الاستراتيجي على مدى واسع,فاهتمت الصين في تقوية علاقاتها الثقافية والسياسية والاقتصادية والتجارية, والتركيز على برامج التدريب والمبادلات الثقافية وتعليم اللغة الصينية الى غير ذلك من مجالات التأثير, [18] اذ يبدو ان الربيع العربي يحمل معه تحديات وفرص جديدة بالنسبة لها فتحاول الاستفادة من هذا الوضع [19] .من المعروف ان الصين تركز على الاقتصاد والثقافة في إطار القوة الناعمة ولا تتدخل في الشؤون السياسية والأمنية, الا انه في القمة الصينية الافريقية لسنة 2012 أعلن هوجنتاو عن برنامج دعم القدرات الأمنية في افريقيا, كذا عن مبادرة الشراكة التعاونية الصينية الافريقية من اجل السلام والامن,مما يبين ان الصين تقوم بتعديل وتكييف سياستها تجاه قضايا القارة. انطلاقا مما ذكره الرئيس الصيني, فان المبادرة تحاول دعم الاستقرار والامن في القارة من اجل توفير بيئة مناسبة للتنمية.[20]اذ يجب على الصين البحث على الاستقرار على مستوى منطقة شمال افريقيا والشرق الأوسط عموما حيث من المتوقع ان يؤثر الربيع العربي على مسار الصراع العربي الإسرائيلي مما سيزيد من حالة عدم الاستقرار, الامر الذي سينعكس على منطقة اسيا الوسطى, بتزايد

معدلات التطرف فتظهر منطقة مضطربة على الحدود الغربية للصين, التي تعد أكثر الدول في العالم اعتمادا على الاستيراد للحصول على البترول واستمرار التوتر السياسي والأمني في الدول العربية سيؤثر عليها بشكل كبير[21]

2- السياسية الامريكية تجاه الحراك الشعبي العربي

مع بداية احداث الربيع العربي أشار الرئيس الأمريكي باراك أوباما الى كون الوضعيعد فرصة تاريخية للولايات المتحدة الامريكية,كما وضحت وزيرة الخارجية هيلاري كلينتون, ان التحولات ستساعد الولايات المتحدة في المضي في تحقيق الامن والاستقرار والسلام والديمقراطية[22] لكن مع متابعتها للأحداث في تونس ومصر, بدى واضحا انه من الممكن ان يعود ذلك بشكل سلبي على مصالح الولايات المتحدة الامريكية في المنطقة, حيث بدأت تتراجع عن بعض التصريحات ضد الأنظمة السابقة, كما انها تعمل على البحث على الاستقرار لتفادي تعقد الوضع أكثر, ليؤكد الرئيس باراك أوباما على ضرورة سلمية المظاهرات كما يصرح نائه جون بايدن بان حسني مبارك ليس دكتاتورا[23] كما ظهرت حالة الحذر على السياسة الامريكية و تجنب الدعم المباشر للمعارضة, و ذلك يعود لسببين مهمين تكلفة التدخلات العسكرية و التعبئة التي قامت بها الولايات المتحدة منذ احداث الحادي عشر من سبتمبر,إضافة الى حالة عدم اليقين التي انتابت السياسة الامريكية فيما يتعلق بمستقبل هذه الاحتجاجات او الثورات, و إمكانية اسقاطها للنخبة الحاكمة, و على سبيل المثال صرح العضو في مجلس الشيوخ جوزيف ليبرمان مع بداية احداث الربيع العربي, انه انطلاقا من الأوضاع السياسية الراهنة فان المساعدات الثنائية التي تمثل مليارات من الدولارات لن تسحب من الخزينة الامريكية لتمنح للقاهرة لمستقبل غير واضح المعالم او بالأحرى غامض[24]

تشير بعض التقارير الى الدعم الأمريكي او بالأحرى الاختراق الأمريكي للثورات الشبابية في إطار الربيع العربي,وذلك لتوجيه مسارها نحو ما يخدم مصالحها ومصالح حلفائها, ذلك لان هذه الاحداث مست ببعض الأنظمة التي تملك علاقات حسنة مع الولايات المتحدة على غرار النظام المصري[25]بدأت الولايات المتحدة تشير الى كون الجماعات الإرهابية قد استفادت من عدد الحدود غير المؤمنة والدول الضعيفة الجديدة في شمال افريقيا, بسبب نتائج الربيع العربي[26]وتسرب الأسلحة, خاصة أسلحة الجيش الليبي ووقوعها في يد تنظيم القاعدة في بلاد المغرب.[27]كذا انتشار تنظيم داعش في سورية و العراق و كونه يحضر للتغلغل في شمال غرب افريقيا أيضا[28],و عليه تحاول الولايات المتحدة التحضير و التعاون مع الدول العربية و الاوربية و تركيا من اجل القضاء على هذا التنظيم قبل ان ينتشر اكثر [29]و احتمال تحالفهم مع بقية التنظيمات الإرهابية في شمال افريقيا,خاصة تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الذي يحاول الاستفادة من حالة التوتر و الاضطراب لتقوية نفسه[30]و الحصول على اتباع جدد,فتشرح نظرية "الموزة او البنانا" Banana Theory، كيف تتخيل أو تنظر الإدارة

الأمريكية إلى انتقال الإرهاب من أفغانستان نحو القرن الإفريقي، لينتشر عبر منطقة الصحراء و الساحل نحو شمال افريقيا و أوربا على شكل منحنى الموزة. وتبين هذه النظرية كيفية ارتباط الجماعات الإرهابية في المغرب العربي بالجماعات الإرهابية القادمة من القرن الإفريقي[31]

ان المراقب للسياسة الامريكية الجديدة فيما يتعلق بالربيع العربي يلاحظ انها لا تختلف كثيرا عما قبل الربيع العربي,والتي تعتمد بالأساس على التهديد الإرهابي وعسكرة علاقتها مع دول شمال افريقيا انطلاقا من أولوية الامن,كما يشير بعض المحللين الى انه على الولايات المتحدة التركيز على الفرق بين سرعة عملية التحول الديمقراطي والاستدامة [32] في ظل حالة عدم الاستقرار.

3- التنافس والتعاون الاستراتيجي في ظل الظروف الإقليمية الراهنة

يوضح المثلث الاستراتيجي الصين أمريكا ومنطقة شمالا فريقيا والشرق الأوسط أهم الأبنية الديناميكية لدبلوماسية الصين البراغماتية ,حيث تنظر الصين لهذه المنطقة وفقا لمقاربة جيوسياسية و جيو اقتصادية قائمة على المصلحة, معتبرة انها مركز تنافس للقوى الكبرى ,معتمدة على ان الهيمنة الامريكية ستنهار وسيضعف النفوذ الأمريكي في المنطقة[33]لكن الأحداث الأخيرة في منطقة شمال افريقيا أوجدت تحديات وفرص جديدة لكل من الدولتين, مما يزيد من مستوى تنافسهما الاستراتيجي على عليها, حيث يرى بعض الباحثين انه برغم من وضوح التحديات التي تعد قصيرة المدى مرتبطة بحالة عدم الاستقرار التي تشهدها المنطقة, الا ان هناك فرص اقتصادية مهمة وحيوية للبلدين على المدى الطويل[34] قد تغير من سياستي ومستقبل مصالحهما على المدى المتوسط والطويل.

إن الإشارة الى الموقف الأمريكي والغربي عموما, الحذر في بداية احداث الربيع العربي في التعامل مع الأحداث لم يكن وليد المفاجأة وحدها, بل كان بسبب التناقض, حيث ان الولايات المتحدة والدول الاوربية منذ سنة 2001 الى غاية 2011 وهي تعمل في إطار مقاربة متناقضة, فمن ناحية تدفع وتروج للتغيير والإصلاح,ومن ناحية أخرى تدعم الأنظمة التي لها معها مصالح اقتصادية وامنية مهمة, مثل تدفقات الطاقة إضافة الى محاربة الإرهاب والهجرة غير الشرعية, فكان هناك تردد بين تغيير النظام او الحافظ على الأنظمة القائمة [35]

يبدو واضحا تأثر السياسة الصينية بالسياسة الامريكية فما تعلنه الولايات المتحدة الامريكية يؤثر على السياسة الخارجية الصينية فيما يتعلق بالشرق الأوسط وشمال افريقيا,ولكن من المهم الإشارة الى ان التواجد الامريكي في المنطقة قد ضعف قليلا عكس التواجد الاقتصادي الصيني فيها, حيث اتسع مجال التجارة الخارجية الصينية و علاقاتها الدبلوماسية في اسيا أمريكا اللاتينية وافريقيا, ان المتتبع لصعود الصين يعرف انها لن تصبح القوة الأولى على المدى القريب, لكنها تدرك جيدا ان مكانة الولايات المتحدة كقوة عظمى قد تراجعت. [36]

تتعاون الصين مع الولايات المتحدة في بعض القضايا التي تخدم مصلحة البلدين, الامر الحاصل في السودان يوضح ذلك,حيث لا يوجد صراع ضمني بالنسبة لسياسة البلدين رغم أهمية المنطقة لهما في الشمال والجنوب, هذا الاخير الذي يحوي على 75% من الثروة النفطية للسودان, فالصين تملك علاقات حسنة مع حكومة البشير في الخرطوم ومع حكومة سالفا كيير في جوبا,فهناك تعاون ضمني بين الولايات المتحدة والصين ما دامت الولايات المتحدة لا تسعى لتغيير النظام في الخرطوم.[37]

ترفض الصين بشكل تقليدي التدخل العسكري عكس الولايات المتحدة, كما ترى ان العقوبات الاقتصادية ليست سياسة فعالة. بالرغم من ان الصين كانت لها علاقات حسنة مع الأنظمة التي سقطت على إثر احداث الربيع العربي, الا انها استمرت برفضها للتدخل العسكري والعقوبات بكل اشكالها [38] .توفر الصين بديلا يمكن الاعتماد عليه للدول الافريقية التي لا تتمتع بعلاقات حسنة مع الولايات المتحدة والدول الغربية عموما نذكر على سبيل المثال السودان وزمبابوي من النواحي الاقتصادية والصينية كذا لكون الصين تملك مقعد دائم في مجلس الامن في نفس الوقت اهتمام النخب بدعم الدول الافريقية بالنسبة لقضية تايوان فهناك اعتماد متبادل واضح بينهما [39]

مثلت الاحداث الأخيرة في شمال افريقيا والشرق الأوسط تحديا للسياسة الصينية تجاه المنطقة, لكونها تعتمد على الأهداف الاقتصادية بالأساس,وحالة عدم الاستقرار تعد أخطر عنصر يهدد المصالح الاقتصادية فيما يتعلق بالطاقة والأسواق والموارد الطبيعية. مع العقد الأول من القرن الحادي والعشرين بدأت الصين في بناء علاقات تقارب مع دول المنطقة ليس فقط لتغطية تزايد احتياجاتها الطاقوية بل أيضا لتنفيذ أهدافها الجيوسياسية في المنطقة حيث بدأت تتدخل بشكل بطيء ومستمر في سياسات هذه الدول, من خلال تعيين مبعوثها الخاص في المنطقة,والتعاون لمحاربة القرصنة البحرية بين اليمن والصومال, لكنها ليست مستعدة بعد للعب دور مهم على المستوى السياسي حيث تتفادى التدخل في القضايا السياسية والأمنية بشكل عام[40]

يرى العديد من المحللين ان هناك تراجع للدور الريادي الأمريكي في العديد من الأقاليم في العالم, على غرار شمال افريقيا والشرق الأوسط, و يرجعونه لعدة أسباب من بينها: انه منذ وصول الرئيس باراك أوباما للحكم بدا التركيز الأمريكي على السياسة الداخلية اكثر, كذا نقطة تكلفة المغامرات العسكرية الامريكية في الخارج, و أيضا كون أمريكا توجهت مؤخرا للعمل مع شركاء اقليميين على غرار مجلس التعاون الخليجي لتقاسم الأعباء و عدم التورط بشكل منفرد في قضايا مختلف الأقاليم الأجنبية, مثل ما حصل في العراق و أفغانستان, كما انها أصبحت تركز اكثر على القوة الناعمة[41]من خلال التأثير و تقليل الخسائر, فهذا التراجع كما يرى البعض لا يعد امرا دائما بل هو ظرفي لإعادة تقوية الذات.

بالرغم من التاريخ الطويل للعلاقات الصينية مع منطقة شمال افريقيا و الشرق الأوسط, إلا ان اهتمامها بشؤون المنطقة يعد جديدا مقارنة بكل من الولايات المتحدة و فرنسا المملكة المتحدة كذا روسيا [42] , اذ تعد منطقة استراتيجية مهمة لكل من الولايات المتحدة الامريكية أوربا و روسيا,لكنها لا تحمل نفس الأهمية بالنسبة للصين,بل تركز على دول الجوار كدول منطقة اسيا في المحيط الهادي, و عليه فان المقترب الذي تعمل من خلاله الصين تجاه الربيع العربي يتشكل وفقا لعلاقتها مع الولايات المتحدة أوربا وروسيا, تعترف بكين بأهمية و عمق التواجد الأمريكي في الشرق الأوسط و شمال افريقيا, خاصة الدبلوماسي و العسكري, و الذي سيستمر لعقود و يعد مهما للتوازنات و الاستقرار في المنطقة, لهذا تتفادى الصين السياسات التي قد تضعها في مواجهة مع الولايات المتحدة, في نفس الوقت تسعى الصين لبناء علاقات سياسية و دبلوماسية مع الأنظمة التقليدية و الجديدة في منطقة شمال افريقيا و الشرق الأوسط , لضمان دخولها لأسواقها كذا حصولها على الموارد[43]

اهتمت الصين بتطوير علاقاتها العسكرية مع الدول الافريقية كذا الاستقرار, من خلال تبادل الزيارات العسكرية و مساهمتها ب 1.600 جندي في قوات حفظ السلام للأمم المتحدة في القارة, يرتكزون في دارفور جنوب السودان ليبيريا و جمهورية الكونغو الديمقراطية و عدد قليل في ساحل العاج و الصحراء الغربية, في حين تملك الولايات المتحدة الامريكية قاعدة عسكرية في القارة الافريقية في جيبوتي فيها ما يقارب 3000 عسكري و مدني, إضافة الى القاعدة الجديدة المهمة التي تختص بالقارة و مركزها في المانيا و هي الافريكوم ,كما تساهم الولايات المتحدة من الناحية المادية بشكل كبير في دعم عمليات التدخل لحفظ السلام بالنسبة للأمم المتحدة مقارنة بالصين[44]

من المرتقب ان يتزايد مستوى التنافس الاستراتيجي الأمريكي الصيني على المنطقة انطلاقا من هذه التحولات التي جاءت مع احداث الربيع العربي, حيث يبرز ذلك مع التصريحات الأخيرة كاتبة الخارجية الأمريكية هيلاري كلينتون التي نقدت بشكل صريح رد فعل الصين تجاه احداث الربيع العربي,حيث استنكرت الوزيرة الامريكية ما اعتبرته السجل المأساوي لوضع حقوق الانسان في الصين,واعتبرت محاولة الصين لدعم الإصلاح الديمقراطية مجرد رسالة مخادعة, حيث مبرزة الربيع العربي في الشرق الأوسط وشمال افريقيا كمثال على ذلك[45]

في 19 ماي 2011 صرح الرئيس الأمريكي باراك أوباما ان من اهم أسباب الربيع العربي هو الضعف الاقتصادي و عليه وضعت الولايات المتحدة استراتيجية مساعدات اقتصادية لضمان الاستقرار المالي و المضي في الإصلاح كذا الاندماج في الأسواق التنافسية على مستوى الاقتصاد الدولي و مع زيارة كاتبة الخارجية الامريكية للقاهرة في تلك الفترة قدمت مبلغ مساعدات فورية مقدرة ب 150 مليون دولار تلتها مساعدات أخرى لمصر إضافة لتونس بنسبة اقل انطلاقا من الكثافة السكانية حيث يصل عدد سكان تونس الى 10 مليون في حين يتجاوز عدد سكان مصر 80 مليون نسمة [46]صرح القائد

في الافريكوم الجنيرال كارتر هام انهم قد اختاروا مسار مختلف وهو الاستثمار في الراس مال البشري, لكن مقارنة مع مشروع الصين المعنون بالعلاقات والتبادل بين الشعوب,فإنها هي الأخرى تنافس الولايات المتحدة في الاستثمار في الراس مال البشري [47]

رات كل من روسيا والصين ان الدول الغربية اساءت استخدام العقوبات على ليبيا من خلال مجلس الامن, وانه تم تضليلهما من طرف هذه الدول حيث لم تتوقعا حجم هذه العقوبات وعليه قررتا عدم الوقوع في نفس الوضع مستقبلا, و الامر مرتبط بالقضية السورية فالتدخل العسكري يستوجب موافقة روسيا و الصين, هذه الأخيرة التي يبدو انها لن تقبل ذلك كما يجدر بنا الإشارة الى ان الموقف الروسي له تأثير على موقف الصين في هذه النقطة في أكتوبر 2011 و فيفري 2012 رفعت كل من الصين و روسيا حق الفيتو ضد قرار العقوبات على سورية في مجلس الامن, الامر الذي وضعهما امام استنكار و نقد دولي, حيث كان هذا القرار مدعوما من طرف جامعة الدول العربية و الولايات المتحدة الامريكية كذا أوربا. [48]

تهتم الولايات المتحدة بالأولوية العسكرية والأمنية وتقوية التواجد العسكري الأمريكي في القارة, والحصول على الموافقة لدخول مجالها الجوي ومياهها الإقليمية, كما تركز على قضايا محاربة الإرهاب القرصنة وتجارة المخدرات, الامر اذي تعتبره مهددا لأمنها ومصالحها في حين انه بالرغم من ان هذه القضايا د تؤثر على المصالح الصينية أيضا, الا ان الصين لحد الان لم تبدي اهتمام ملحوظ بهذه القضايا [49]

لا يمكن تحديد شكل السياسة الصينية البراغماتية تجاه الربيع العربي في الفترة الحالية و لكن يمكن رصد التعديلات المستمرة على الدبلوماسية الصينية اخذة في عين الاعتبار النقد و التوصيات من مختلف الدول و الراي العام الداخلي [50]فيبدو ان الصين قد بدأت بالقراءة النقدية لسياستها تجاه الدول العربية بما فيها دول شمال افريقيا, [51] فيعد الفيتو الصيني الأخير امرا غير اعتيادي فمنذ انضمامها للأمم المتحدة 1971 لم ترفع الصين حق الفيتو اكثر من سبع مرات حيث يعد هذا الفيتو هو الثامن في تاريخ الصين, حيث امتنعت عن التصويت بالنسبة للعقوبات على ليبيا سنة 2011 و انطلاقا من هذا الفيتو يمكن القول انه يبرز كون الصين قد خرجت عن الاطار البراغماتي المحافظ بالنسبة لسياستها الخارجية, [52]إضافة للظروف الجديدة في شمال افريقيا, الامر الذي يهدد المصالح الصينية هناك, فوجدت انه من الضروري العمل على دعم الاستقرار و الامن[53]

ان التغيير الذي أشرنا إليه لا يمس أهم مرتكزات السياسة الخارجية الصينية التي تتمثل في السيادة وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول كذا وحدة الأراضي الصينية إضافة الى الأولوية الاقتصادية من اجل تحقيق الثروة وتقوية نفسها للتحكم في الوضع الداخلي حيث كانت هذه

المحركات الرئيسة لسياستها الخارجية منذ الاستقلال وعليه فان اهتمام الصين بشؤون شمال افريقيا حتى السياسية والأمنية لا يعدو بحثا عن الاستقرار للحفاظ على مصالحها الاقتصادية في المنطقة لكن دون تجاوز سيادة هذه الدول[54] وعدم التدخل في شؤونها الداخلية.

خاتمة:

من خلال هذه الدراسة يمكننا رصد المسار الجديد الذي تتجه نحوه كل من السياسة الامريكية و الصينية فيما يتعلق بالتعامل مع منطقة شمال افريقيا, هذا التوجه الذي انطلق من التغيرات الجيوسياسية و الجيوستراتيجية المتوقعة على المدى المتوسط و الطويل في اطار الربيع العربي, حيث و اعتمادا على الدراسات المركزة على الصعود الصيني و التراجع الأمريكي فكلا الدولتان تبحثان على تحقيق مصالحها طويلة المدى, و التي ترتكز تحديدا في التفوق الاقتصادي, و تحقيق هذا التفوق يتم بالنسبة للصين بالتأثير و القوة الناعمة و بالنسبة للولايات المتحدة بالريادة و التوجيه السياسي نحو تحقيق أهدافها, الا ان كلا الدولتين لاحظتا قصور العمل وفقا بمقترب واحد, حيث ان إيجاد الاستقرار لا يتم بالتأثير غير المباشر وحده من خلال القوة الناعمة التي تتطلب عقود من الزمن, الامر الذي سيعود سلبا على المصالح الاقتصادية, و هو المقترب الذي تعمل في اطاره الصين, حيث نلاحظ انها قد بدأت في عملية إعادة التفكير و تقييم سياساتها و تكييفها مع الظروف الدولية الراهنة, لتهتم بالشؤون السياسية و العسكرية و الأمنية للدول التي تتعامل معها, انطلاقا من كون الاستقرار السياسي و الأمني شرط ضروري للاستثمار و التعاون الاقتصادي.

بالنسبة للولايات المتحدة فقد شهدت سياستها تجاه دول شمال افريقيا و الساحل نقدا كبيرا حول كونها تتسم بصفة العسكرة, أي انه قد تم عسكرة سياستها و علاقاتها مع هذه الدول و وفقا لدراسات نسبة معاداة أمريكا من طرف العديد من المراكز على غرار بيو PEW,فان هذه النسبة قد شهدت تزايدا و الامر يعود بالأساس على تركيز الولايات المتحدة على الشؤون الأمنية و العسكرية بشكل مفرط, جعل شعوب دول شمال افريقيا المسلمة ترى ان الولايات المتحدة دولة تسعى للسيطرة من خلال قوتها العسكرية, و تتدخل في الشؤون السياسية و الثقافية للدول المختلفة عنها ثقافيا, لفرض نمط ثقافتها عليها, لهذا لاحظنا من خلال الدراسة محاولة إعادة التفكير Rethinking بالنسبة لسياسة الولايات المتحدة في الشرق الأوسط و شمال افريقيا, و الاعتماد اكثر على القوة الناعمة لجذب شعوب هذه المنطقة, خاصة مع احداث الربيع العربي التي اسقطت أنظمة كانت متعاونة مع الولايات المتحدة الامريكية.

قائمة الهوامش

1Larry Hanauer, Lyle J. Morris. Chinese Engagement in Africa Drivers, Reactions, and Implications for U.S. Policy.USA: RAND. 2014 P: 91

2 David H. Shinn China's Growing Role in Africa: Implications for U.S. Policy. Senate Committee on Foreign Relations Subcommittee on African Affairs

1 November 2011 in: www.foreign.senate.gov/.../David_Shinn_Testimony. P :01

3 Larry Hanauer, Lyle J. Morris. Op.cit. P: 89

4 David H. Shinn China's Growing Role in Africa: Implications for U.S. Policy. P:02

5 Mordechai CHAZIZA THE ARAB SPRING: IMPLICATIONS FOR CHINESE POLICY. AUGUST 4, 2013, in: http://www.gloria-center.org/2013/08/the-arab-spring-implications-for-china-policy/

6 Annika Parks. The Waking Giant and the Arab Spring: China s Middle East Strategy in the wake of Arab Revolutions. University Honors in International Studies. Fall 2012. p: 12

7Larry Hanauer, Lyle J. Morris.op.cit. P: 87

8 David H. Shinn. Op.cit. P:03

9Mordechai CHAZIZA. op.cit

10 المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات. التوازنات والتفاعلات الجيوستراتيجية والثورات العربية. المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات. قطر. افريل 2012. ص ص: 08-10

11 Mordechai CHAZIZA. op.cit

12Larry Hanauer, Lyle J. Morris. Op.cit. P: 86

13 لورنس عايدة عمور. التحديات الأمنية الصاعدة في المغرب العربي ومنطقة الساحل بعد الربيع العربي. في:الكتاب السنوي للبحر الأبيض المتوسط: المتوسطي IEMed.2012 الأردن : دار فضاءات للنشر و التوزيع. 2014 . ص: 129

14Annika Parks.op.cit. P:18

15 Larry Hanauer, Lyle J. Morris. Op.cit. P:73

16 Mordechai CHAZIZA.op.cit

17 Larry Hanauer, Lyle J. Morris. Op.cit. P: 84

18ibid. P: 73

19 Mordechai CHAZIZA. Op.cit

20 Larry Hanauer, Lyle J. Morris. Cop.cithinese Engagement in Africa Drivers, Reactions, and Implications for U.S. Policy. P: 83

21 Mordechai CHAZIZA. Op.cit.

22 - خليدة كعسيس. ص ص: 229-230

23 - مروان بشارة. اهداف الولايات المتحدة واستراتيجياتها في العالم العربيالمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات. قطر. مارس 2013. ص: 16

24 Uri Dadush Michele Dune. American and European Responses to the Arab Spring : What is the BigIdea?. The Washington Quarterly. Fall 2011. P: 133

25 - خليدة كعسيس. الربيع العربي بين الثورة والفوضى. المستقبل العربي. ص: 230

26-Dafna Hochman Rand.Testimony before the House Permanent Select Committee on Intelligence September 18, 2014. Center for a New American Security. In:http://www.cnas.org/sites/default/files/publicationspdf/RAND_Intelligence_PreparedStatement_09182014.pdf

27 International Peace Institute, "Mali and the Sahel Sahara: from crisis Management to Sustainable Strategy", IPI: United Nations Plaza, New York, February 2013. P : 02

28Yossef Ait Akdim. Destination Jihad. Jeune Afrique. N2793. 20/26 Juillet 2014. P:25

29 Dafna Hochman Rand. Op.cit.

30 Seth G. Jones The Mirage of the Arab Spring Deal With the Region You Have, Not the Region You Want ISSUE of JANUARY/FEBRUARY 2013. In: http://www.foreignaffairs.com/articles/138478/seth-g-jones/the-mirage-of-the-arab-spring

31Jeremy KEENAN. THE DARK SAHARA : America s War on Terror in Africa. (Pluto Press. London. 2009).p:15.

32Seth G. Jones The Mirage of the Arab Spring Deal With the Region You Have, Not the Region You Want ISSUE of JANUARY/FEBRUARY 2013. In: http://www.foreignaffairs.com/articles/138478/seth-g-jones/the-mirage-of-the-arab-spring

33Degang Sun, Yahia Zoubir. China's Response to the Revolts in the Arab World: A Case of Pragmatic Diplomacy. Mediterranean Politics, 2013 http://dx.doi.org/10.1080/13629395.2013.809257. P : 03

34 Mordechai CHAZIZA.op.cit.

35 انديو باسولس. أوربا والثورات: التطورات العربية. في: الكتابالسنويللبحرالأبيضالمتوسط: المتوسطي 2012. IEMed. الأردن:دارفضاءاتللنشروالتوزيع. 2014 . ص. 71

36 Mordechai CHAZIZA . op.cit

37 David H. Shinn. op.cit. P: 10

38 Mordechai CHAZIZA. Op.cit.

39David H. Shinn. Op.cit. P: 05

40 Mordechai CHAZIZA. Op.cit.

41 المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات. مرجع سابق. ص ص: 26- 27

42 Degang Sun, Yahia Zoubir. Op.cit.p;15

43 Mordechai CHAZIZA. Op.cit.

44David H. Shinn. op.cit. P: 03

45Mordechai CHAZIZA. op.cit

46 Uri Dadush Michele Dune. Op.cit. Pp : 133-0134

47Larry Hanauer, Lyle J. Morris. Op.cit. P: 91

48 Mordechai CHAZIZA. Op.cit

49 David H. Shinn. op.cit. P: 02

50 Degang Sun, Yahia Zoubir. Op.cit.p; 16

51 Larry Hanauer, Lyle J. Morris. Op.cit. P:87

52 Mordechai CHAZIZA. Op.cit

53 Larry Hanauer, Lyle J. Morris.op.cit. P:89

54 Annika Parks. Op.cit. p : 12